لينين

مقالات حول تولستوي

دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية

يا عمال العالم ، اتحدوا !

لينين

مقالات حول تولستوي

دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية
موسكو

من الناشر:

ترجمت هذه المجموعة «لينين – مقالات حول تولستوي» نقلاً عن كراس اصدرته دار الطبع والنشر الاداب السياسية عام ١٩٥٥، عنوانه: «لينين – ليون تولستوي مرآة الثورة الروسية. ليون تولستوي».

ليون تولستوي مرآة الثورة الروسية

قد يخيل للمرء لأول وهلة أنه لأمر غريب مصطنع ضم اسم الفنان العظيم الى الثورة التي يتضح أنه لم يفهمها وانه انصرف عنها. وهل يسع المرء أن يسمي شيئاً مرآة ظاهرة بينا من الواضح ان هذا الشيء لا يعكس تلك الظاهرة بشكل دقيق أمين؟ ولكن ثورتنا ظاهرة معقدة تعقيداً بالغاً، اذ يوجد كثير من العناصر الاجتماعية في عداد محققيها والمشتركين بها مباشرة، تلك العناصر التي يتضح أنها لم تستوعب ما كان يجري والتي انصرفت عن المهام التاريخية التي فرضها عليها مجرى الاحداث. واذا كنا أمام فنان عظيم حقاً فلا بد له ان يكون قد عكس في مؤلفاته وإن بعض النواحي الأساسية من الثورة.

ان الصحافة الروسية المشروعة المليئة بالمقالات والكتابات والنبذ بمناسبة عيد تولستوي الثمانيني، لم تهتم كل الاهتمام بتحليل مؤلفاته من ناحية طابع الثورة الروسية وقواها المحركة. وقد طفحت تلك الصحف حتى القرف بالنفاق المقزز، نفاق ذي وجهين:

رسمي وليبيرالي. الأول هو النفاق الفظ للكتبة المرتزقة الذين تلقوا بالأمس أمراً بمهاجمة تولستوي، واليوم تلقوا أمراً بالبحث فيه عن الصفات الوطنية ومحاولة مراعاة الالتزامات بوجه أوربا. ان جميع الناس يعرفون أمر هؤلاء الكتبة الذين تقاضوا أجورهم على أتعابهم، وانهم لن يخدعوا أحداً. أما النفاق الليبيرالي فهو أنعم، وبالتالي أشد أذى وخطراً. فاذا استمع المرء الى فئة بالالايكين الكاديت من «ريتش» (١) فانه يجد عطفهم على تولستوي أكثر كمالاً وأشد حرارة. وفي الواقع ان هذا التفخيم المصطنع والجمل المنمقة حول «الباحث الكبير عن الله» ليست سوى بهتان وأباطيل، لأن الليبيراليين الروس ليس لهم ايمان باله تولستوي ولا عطف على النقد التولستوي للنظام القائم. لقد التصقوا باسم شعبي ليزيدوا «رصيدهم» السياسي ويلعبوا دور قائد المعارضة الوطنية. وقد حاولوا أن يخنقوا تحت جعجعة الجمل وضوضائها، الحاجة الى جواب مباشر واضح على هذا السؤال: من أين جاءت التناقضات الكبيرة «للتولستوية» وأي نقائص ونقاط ضعف من ثورتنا تعكس؟

ان التناقضات في مؤلفات تولستوي وآرائه و تعاليمه ومذهبه هي في الواقع كبيرة صارخة. فمن جهة انه فنان عبقري لم يرسم لوحات لا مثيل لها للحياة الروسية فحسب بل انه قدم للأدب العالمي تآليف رفيعة من الدرجة الاولى. ومن جهة اخرى انه سيد اقطاعي مجنون بالمسيح. ومن ناحية نرى نقمة قوية صادقة ومباشرة على النفاق والتدجيل الاجتماعيين، ومن ناحية اخرى نرى «تولستوياً»، اي منتحباً مهستراً مهترئاً يسمى المثقف الروسي، يلطم صدره امام الملأ قائلاً: «انني شرير انني فاسد الاخلاق

ولكنني اجهد نفسي لبلوغ تكامل ذاتي أخلاقي وأصلح من شأنها. ما عدت آكل اللحم وأقتات الآن بأقراص الرز». و من طرف هو ناقد قاس للاستغلال الرأسمالي، وفاضح لأعمال التعسف التي تقوم بها الحكومة ولمهزلة العدالة وجهاز الدولة، وكاشف هوة التناقضات العميقة بين تزايد الثروات ونجاحات الحضارة وبين تزايد البؤس والوحشية وآلام الجماهير الكادحة، ومن طرف آخر إنه مجنون بالمسيح الذي يعظ منادياً «بعدم مقاومة الشر» بالعنف. وهو من وجه أوضح واقعية وهاتك لكل قناع مهما كان، ومن وجه آخر إنه مبشر بشيء من أحط الأشياء التي يمكن أن توجد في الدنيا وتعرف: إنه الدين، وإرادة الاستعاضة عن الكهنة الموظفين للدولة بكهنة مؤمنين،وهذا يعني دعاية لصالح سيادة الكهنة بأنعم شكل لها وأخسه بالتالي. وفي الحقيقة:

إنك بائسة، وإنك خصيبة،

إنك قوية، وإنك خائرة القوى

يا أمنا روسيا! (٢)

ومن الواضح أن تولستوي بمثل هذه التناقضات ما كان يستطيع إطلاقاً أن يفهم لا الحركة العمالية ودورها في الكفاح في سبيل الاشتراكية ولا الثورة الروسية. ولكن التناقضات في وجهات نظر تولستوي وتعاليمه ليست من عمل الصدفة بل إنها تعبير عن الشروط المتناقضة التي كانت تسود الحياة الروسية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. ان الريف الذي كان يسوده النظام الأبوي ما كاد يتحرر من القنانة حتى سُلّم لرأس المال وخزانة الدولة قصد النهب والسلب بكل معنى الكلمة. إن الأسس القديمة لاقتصاد الريف

وحياة الفلاحين التي حوفظ عليها عبر أجيال طويلة، قد دكت وقوضت بسرعة لا تصدق. ولذلك لا بد من الحكم على تناقضات وجهات نظر تولستوي ــ لا من ناحية الحركة العمالية المعاصرة والاشتراكية المعاصرة (فمثل هذا الحكم في الحقيقة لازم، ولكنه لا يكفي) ــ بل من ناحية الاحتجاج على الرأسمالية المقبلة وإفلاس الجماهير التي تجرد من أراضيها، ذلك الاحتجاج الذى كان لا بد له ان يتمخض عند الريف الروسي الخاضع للنظام الأبوي. ان تولستوي موضع سخر وضحك بوصفه نبياً اكتشف تراييق جديدة لخلاص البشرية ــ ولهذا السبب فإن أولئك «التولستويين» الأجانب والروس يرثى لحالهم إذ أرادوا أن يجعلوا أضعف ناحية في مذهبه عقيدة. إن تولستوي عظيم باعتباره معبراً عن الأفكار والنزعات التي تكونت عند ملايين الفلاحين الروس لدى قيام الثورة البرجوازية في روسيا. وإن تولستوي أصيل لأن مجموع أفكاره، إذا أخذ جملة واحدة، يعبر بالضبط عن خصائص ثورتنا بصفتها ثورة فلاحية برجوازية. إن التناقضات في أفكار تولستوي من هذه الناحية هي مرآة صحيحة للظروف المتناقضة التي كانت تسود النشاط التاريخي للفلاحين في ثورتنا. فمن جهة، إن عصور الظلم الاستعبادي وعشرات السنين من الخراب المتفاقم بسرعة، أثر الاصلاح (٣) قد كدست ركاماً من الحقد والغضب والعزم العارم. إن الارادة بكنس الكنيسة الرسمية حتى آخر أساس لها والملاك العقاريين وحكومة الملاك العقاريين، والقضاء على جميع الأشكال القديمة والعادات للملكية العقارية، و تمهيد الأرض وخلق مجتمع من فلاحين صغار احرار متساوين في الحقوق مكان الدولة البوليسية

الطبقية ــ إن هذا المسعى يمر كخيط أحمر عبر كل خطوة تاريخية للفلاحين في ثورتنا، وما من ريب في أن المضمون الايديولوجي لكتابات تولستوي يستجيب إلى مسعى الفلاحين هذا أكثر منه إلى «الفوضوية المسيحية» المجردة، كما توصف «منظومة» أفكاره في بعض الأحيان.

ومن جهة أخرى ان الفلاحين الذين كانوا يطمحون الى أشكال أخرى من المجتمع، قد كان موقفهم ابوياً، غير واع، موقف مجانين بالمسيح، تجاه ما ينبغي أن يكون عليه هذا المجتمع، وتجاه وسائل الكفاح التي يجب أن ينتزعوا بها حريتهم، وتجاه القادة الذين يمكن أن يكونوا لهم في هذا الكفاح، وتجاه مواقف البرجوازية والمثقفين البرجوازيين ازاء مصالح الثورة الفلاحية، والأسباب التي تجعل قلب السلطة القيصرية بالعنف أمراً ضرورياً للقضاء على ملكية الاقطاعيين العقارية. ان كل الحياة التي مرت على الفلاحين قد علمتهم كره السيد الاقطاعي والموظف، ولكنها لم تعلمهم ولم تستطع أن تعلمهم أين يجدون الجواب على كل تلك الأسئلة. ان أقلية الفلاحين قد ناضلت فعلاً في صفوف ثورتنا، منتظمة بعض الانتظام لهذا الغرض، وهناك قسم ضئيل جداً نهض والسلاح في يده للقضاء على أعدائه، ولقتل خدم القيصر والمدافعين عن الملاك العقاريين. كان أكبر قسم من الفلاحين يبكي ويتوسل، ويلت ويحلم، ويكتب العرائض ويرسل «متشفعين» ــ تماماً على شاكلة ليون تولستوي! وكما يحدث دائماً في مثل هذه الحالة، فان الصدوف التولستوي عن كل سياسة، والتخلي التولستوي عن السياسة، وانعدام الاهتمام والفهم لها

قد جعلت أقلية فقط تقتفي أثر البروليتاريا الواعية الثورية، وأصبحت الغالبية فريسة هؤلاء المثقفين البرجوازيين الادنياء العديمي المبادىء الذين كانوا تحت اسم «الكاديت» (٤) يجرون من مجلس «الترودوفيكيين» (٥) للوقوف على باب ستوليبين (٦) يستجدون، ويساومون، ويصالحون، ويعدون بالمصالحة، – الى أن طردهم جندي بجزمته. ان أفكار تولستوي، ان هي الا مرآة الضعف والنقص في انتفاضتنا الفلاحية، وهي انعكاس لخور الريف الخاضع للنظام الأبوي والجبن الشديد «للموجيك الميسور».

خذوا تمردات الجنود في ١٩٠٥ – ١٩٠٦. ان التكوين الاجتماعي لهؤلاء المناضلين في ثورتنا يشغل وسط الفلاحين والبروليتاريا. وقد كانت البروليتاريا أقلية، ولهذا ما أظهرت الحركة في الجيش – حتى على وجه التقريب – هذا التماسك الشامل عموم روسيا والوعي الحزبي اللذين اظهرتهما البروليتاريا التي أصبحت اشتراكية – ديموقراطية بقدرة قادر. ومن جهة أخرى، ما من رأي أكثر خطأ من ذلك الرأي الذي ينسب فشل تمردات الجنود الى عدم وجود قواد لها من الضباط. وعلى العكس، ان التقدم العظيم للثورة منذ عهد «نارودنايا فوليا» (٧) قد تجلى في كون «المواشي الرمادية» هي التي حملت السلاح ضد رؤسائها، والتي أخاف استقلالها الملاك العقاريين الليبيراليين والضباط الليبيراليين. كان الجندي مليئاً بالعطف على قضية الفلاحين وكانت عيناه تتقد من كلمة واحدة عن الأرض. وكم من مرة انتقلت السلطة في وحدات الجيش الى أيدي جماهير الجنود، ولكن هذه السلطة لم تستعمل استعمالاً حازماً. فكان الجنود يترددون، وبعد عدة أيام، وفي

بعض الأحيان بعد عدة ساعات، كانوا يطلقون سراح القادة، بعد ما يقتلون بعض القادة المكروهين، ويدخلون في مفاوضات مع السلطات، فيساقون بعدئذ الى الاعدام رمياً بالرصاص، أو الى الجلد، ويعودون من جديد الى النير— تماماً على شاكلة ليون تولستوي!

لقد عبر تولستوي عن الحقد العارم والطموح الذي نضج أخيراً الى مستقبل أفضل والرغبة في التحرر من ربقة الماضي، كما عبر عن فجاجة الأحلام ونقص التربية السياسية والرخاوة الثورية. ان الظروف التاريخية والاقتصادية تفسر ضرورة نشوء النضال الثوري للجماهير، ونقص الاستعداد لهذا النضال واللامقاومة التولستوية للشر التي كانت من جملة أهم أسباب انكسار أول حملة ثورية.

يقال ان الهزيمة مدرسة طيبة للجيوش. وما من شك في أن مقارنة الطبقات الثورية بالجيوش ليست صحيحة الا على نطاق ضيق جداً. ان تطور الرأسمالية يعدل ويزيد كل ساعة تفاقم الشروط التي كانت تحمل على النضال الديموقراطي الثوري ملايين الفلاحين الذين وحدهم الكره للملاك الاقطاعيين وحكومتهم. وان اتساع المبادلات وسيطرة السوق والمال بين الفلاحين انفسهم ينبذ اكثر فاكثر العادات الأبوية والتفكير التولستوي الأبوي. الا أنه قد حدث كسب لا ريب فيه في السنوات الأولى للثورة والهزائم الاولى في النضال الثوري الجماهيري: انه الضربة القاتلة التي سددت للخور والميوعة القديمة لدى الجماهير. لقد أصبحت الخطوط الفاصلة أكثر وضوحاً. وتحددت الطبقات والأحزاب. وتحت

وقع دروس ستوليبين وبفضل الدعاية الدائمة والثابتة للاشتراكيين — الديموقراطيين الثوريين ليست البروليتاريا الاشتراكية وحدها وحسب ، بل الجماهير الديموقراطية من الفلاحين ايضاً، ستدفع لا محالة الى الأمام المناضلين الأكثر تمرساً وحنكة، والأكثر عصمة من الوقوع في خطأنا التاريخي للتولستوية.

جريدة «بروليتاري»،
العدد ٣٥، ١١ (٢٤)
ايلول (سبتمبر) ١٩٠٨

لينين ، المؤلفات ،
الطبعة الروسية الرابعة،
المجلد ١٥، ص ص ١٧٩ — ١٨٦

ليون تولستوي

لقد مات ليون تولستوي. وان أهميته العالمية كفنان وشهرته العالمية كمفكر وواعظ، تعبر كل منهما، على طريقتها، عن المدى العالمي للثورة الروسية.

لقد عرف تولستوي ككاتب كبير منذ عهد القنانة. ففي عدد من مؤلفاته العبقرية التي كتبها خلال عمله الأدبي في فترة تزيد على نصف قرن، وصف بشكل خاص روسيا القديمة لما قبل الثورة التي بقيت حتى بعد عام ١٨٦١ في حالة نصف قنانة، روسيا القروية، روسيا المالك العقاري والفلاح. ان تولستوي، حين وصف هذه الحقبة التاريخية من الحياة الروسية، قد عرف كيف يثير في كتاباته عدداً كبيراً من المسائل الهامة، ويصل الى قدرة فنية بالغة حتى ان مؤلفاته قد احتلت مكاناً مرموقاً في الأدب العالمي. ان الحقبة التحضيرية للثورة في أحد البلدان الرازحة تحت نير القنانة قد ظهرت بفضل عبقرية تولستوي خطوة الى الأمام في مضمار التطور الفني للانسانية جمعاء.

ان تولستوي الفنان لا يعرفه سوى عدد ضئيل حتى في روسيا. ولكي يمكن مؤلفاته العظيمة ان تكون فعلاً في متناول

الجميع، يجب النضال مناضلة دائبة ضد النظام الاجتماعي الذي غمر الملايين وعشرات الملايين من الناس في لجة الجهل، والبلادة، والعمل الشاق والبؤس، ويجب وقوع الانقلاب الاشتراكي.

وان تولستوي لم يبدع مؤلفات فنية فحسب ستقدرها الجماهير وتقرأها دائماً عندما تخلق شروطاً انسانية لحياتها بعد أن تطيح بنير الملاك العقاريين والرأسماليين، بل انه قد عرف كيف يعبر بقوة عظيمة عن الحالة الفكرية للجماهير الواسعة التي أثقلها النظام القائم، ويصف وضعها، ويترجم مشاعرها التلقائية في النقمة والغضب. وان تولستوي اذ يعود الى الحقبة بين ١٨٦١–١٩٠٤ بشكل خاص، يجسد في مؤلفاته بصورة بارزة، أخاذة — كفنان، وكمفكر وواعظ — الملامح التاريخية الخاصة لأول ثورة روسية باكملها، بقوتها وبضعفها.

ومن أولى الملامح المميزة لثورتنا أنها كانت ثورة فلاحية برجوازية، في حقبة من الزمن بلغت الرأسمالية درجة عالية جداً من التطور في العالم أجمع، ودرجة رفيعة نسبياً في روسيا. لقد كانت هذه الثورة برجوازية، اذ وكانت مهمتها المباشرة الاطاحة بالأتوقراطية القيصرية والـمَلَكية القيصرية، وتقويض مُلْكية الاقطاعيين العقارية، لا قلب السيطرة البرجوازية. فما كان الفلاحون على وجه الخصوص يدركون المهمة الأخيرة هذه، ولا فرقها عن أقرب الأغراض المباشرة للنضال. فكانت هذه أيضاً ثورة برجوازية فلاحية لأن الشروط الموضوعية قد وضعت في المقدمة مسألة تعديل الشروط الأساسية لحياة الفلاحين، وهدم الشكل القديم القروسطي للملكية العقارية، و «تمهيد الأرض» للرأسمالية؛ لقد

دفعت الشروط الموضوعية جماهير الفلاحين الى حلبة العمل التاريخي المستقل بعض الاستقلال.

لقد كانت مؤلفات تولستوي تعبر عن القوة والضعف، عن القدرة والضيق لحركة الفلاحين الجماهيرية بالذات. وقد كانت نقمته الحارة، المتحمسة، والحادة جداً في بعض الأحيان، على الدولة والكنيسة الرسمية البوليسية تعبر عن مشاعر ديموقراطية الفلاحين البدائية التي كدست فيها خلال عصور القنانة، والتعسف والسلب الاداريين، واليسوعية الاكليريكية، والأكاذيب، والختل، ركاماً هائلاً من الحقد العارم والغضب. ان رفضه الشديد للملكية العقارية الخاصة يعبر عن عقلية جماهير الفلاحين في فترة تاريخية، انتهى الأمر فيها بالشكل القروسطي القديم للملكية العقارية، الاقطاعية والحصص القانونية*، فشكل عقبة كؤوداً في وجه تطور البلاد اللاحق، وكان لا بد من تقويضه تقويضاً لا هوادة فيه، ولا تردد. وان فضحه الدائم للرأسمالية، بأعمق شعور وأشد حنق، يعبر عن كل رعب الفلاحين الخاضعين للنظام الأبوي، الذين تحسسوا بعدو جديد خفي، غير مفهوم يأتي اليهم من المدن أو من الخارج، يدك جميع «أسس» الحياة الريفية ويحمل اليهم خراباً لا مثيل له، والبؤس، والموت جوعاً، والعودة الى الحالة المتوحشة، والدعارة، والمرض الزهري ـ جميع نكبات «عهد التراكم

---

* المقصود هنا حصص الارض التي منحها قانون الغاء القنانة، عام ١٨٦١، للفلاحين قصد التمتع بها. ولم يكن من حق الفلاحين بيع هذه الحصص اذ كانت تخص المشاعات وكانت توزع بصورة دورية بين الفلاحين. المعرب.

البدائي» التي تفاقمت تفاقماً خطيراً بنقل أحدث طرائق النهب الى الأرض الروسية والتي وضع تصميمها السيد كوبون (٨).

على أن المحتج المتحمس، والمتهم المندفع، والناقد الكبير قد أظهر في الوقت ذاته في مؤلفاته عدم فهم لأسباب الأزمة الزاحفة على روسيا ووسائل الخروج منها، وان عدم الفهم هذا ليس جديراً الا بفلاح ساذج، خاضع للنظام الأبوي، وليس جديراً بكاتب اوروبي الثقافة. ان الكفاح ضد الدولة الاقطاعية والبوليسية، وضد الملكية قد تحول عنده الى جحود السياسة، وأدى الى «لامقاومة الشر»، وانتهى به الأمر أن ابتعد ابتعاداً كاملاً عن النضال الثوري للجماهير في ١٩٠٥–١٩٠٧. وقد رافقت عنده النضال ضد الكنيسة الرسمية الدعوة الى دين جديد، مصفى، أي الى سم جديد، مصفى لتستعمله الجماهير المظلومة. وما كان انكار الملكية العقارية الخاصة ليؤدي الى تركز النضال ضد العدو الحقيقي، وهو الملكية العقارية للاقطاعيين، وأداة سيطرتها السياسية اي الملكية، بل الى زفرات حالمة، غامضة، عاجزة. ان فضح الرأسمالية والنكبات التي تعود بها الجماهير قد رافقته اللامبالاة التامة تجاه النضال التحرري العالمي الذي تقوم به البروليتاريا الاشتراكية العالمية.

ان التناقضات في وجهات نظر تولستوي ليست تناقضات فكره الشخصي بالتحديد، وانما هي انعكاس للشروط والتأثيرات الاجتماعية، والتقاليد التاريخية المعقدة والمتناقضة بالغ التعقيد والتناقض والتي حددت نفسية مختلف الطبقات ومختلف أوساط المجتمع الروسي في الحقبة التالية للاصلاح ولكن السابقة للثورة.

وليس من الممكن لذلك اصدار حكم دقيق على تولستوي الا حينما يضع المرء نفسه موضع وجهة نظر الطبقة التي برهنت بدورها السياسي ونضالها لدى التسوية الاولى لهذه التناقضات، اي الثورة، على رسالتها كقائدة في النضال في سبيل حرية الشعب وتحرير الجماهير من الاستغلال، وبرهنت على اخلاصها القوى لقضية الديموقراطية وكفاياتها للنضال ضد ضيق الافق وانعدام الانسجام في الديموقراطية البرجوازية (بما فيها الديموقراطية الفلاحية)، ان هذا الحكم غير ممكن الا من وجهة نظر البروليتاريا الاشتراكية الديموقراطية.

فلننظر الى الحكم الذي تطلقه صحف الحكومة على تولستوي. انها تذرف دموع التماسيح، وتؤكد احترامها «للكاتب الكبير»، وتدافع في الوقت ذاته عن المجمع «المقدس»، في حين ان الآباء المقدسين قد ارتكبوا للتو خسة بالغة الحطة، اذ ارسلوا الكهنة الى جوار المحتضر كي يخدعوا الشعب ويقولوا ان تولستوي قد «تاب». لقد حرم المجمع المقدس تولستوي. شيء حسن. سوف تدرك هذه المأثرة عندما يصفي الشعب حسابه مع الموظفين بثياب الكهنة، ودرك يسوع، والمفتشين اللئام الذين ايدوا مذابح اليهود وسائر مآثر العصابة القيصرية «المئة السود» (٩).

لننظر الى الحكم الذي تطلقه الصحف الليبيرالية على تولستوي. انها تعمد الى تلك الجمل الفارغة، الليبيرالية الرسمية، المبتذلة، المطروقة، الجامعية، على «صوت الانسانية المتحضرة» و «رد الفعل العالمي الاجماعي» و «أفكار الحق والخير» الخ.، التي كان تولستوي قد انهال لاجلها بالسياط على العلم البرجوازي

بقوة وحق. انها لا تستطيع ان تعبر تعبيراً واضحاً وصريحاً عن حكمها على آراء تولستوي فيما يخص الدولة، والكنيسة، والملكية العقارية الخاصة، والرأسمالية ـ لا لأن المراقبة تمنعها من ذلك، فعلى العكس، ان المراقبة تساعدها في التخلص من الورطة! ـ بل لأن كل تأكيد في انتقاد تولستوي هو صفعة لليبيرالية البرجوازية، ـ لأن مجرّد طرح اقسى المسائل والعنها في عصرنا بصورة جريئة، واضحة، لا تكلف فيها، وبحدّة لا هوادة فيها، يحطّم الجمل المنمقة الجامدة، والبهلوانيات البائخة، والاكاذيب «المتمدنية» الملتوية لصحافتنا الليبيرالية (والليبيرالية الشعبية). ان الليبيراليين متحمسون كل التحمس لتولستوي، ومتحمسون كل التحمس ضد المجمع المقدس، وهم في الوقت ذاته يؤيدون... الفيخيين (١٠) الذين «تمكن المناقشة» معهم ولكنه «يجب» التعايش معهم في حزب واحد و «يجب» العمل معهم في الأدب والسياسة. اما الفيخيون فهم الذين يتلقون عناق أنطونيوس فولينسكي (١١).

ان الليبيراليين يبرزون أن تولستوي كان «ضميراً كبيراً». أليس هذا جملة فارغة ترددها بمختلف الأشكال صحيفة «نوفويه فريميا» («الأزمنة الحديثة») (١٢) وأمثالها؟ ألا يعني هذا التهرب من المسائل الملموسة للديموقراطية والاشتراكية التى طرحها تولستوي؟ ألا يدفع ذلك الى المقدمة ما يعبر عن أوهام تولستوي وليس عن عقله؛ وما يتعلق فيه بالماضي وليس بالمستقبل، بانكاره للسياسة وتبشيره بتكامل ذاتي، أخلاقي، وليس باحتجاجه الشديد على كل سيطرة طبقية؟

لقد مات تولستوي وغرقت في لجة الماضي روسيا ما قبل الثورة، روسيا التي انعكس ضعفها وعجزها في فلسفة هذا الفنان العبقري، ووصفتهما مؤلفاته. بيد أن في تركته ما لم يغرق في لجة الماضي، بل يخص المستقبل. ان هذه التركة تأخذها بروليتاريا روسيا وتدرسها. ولسوف تشرح لجماهير الشغيلة والمستغَلين معنى انتقاد تولستوي للدولة، والكنيسة، والملكية العقارية الخاصة — لا لكي تقتصر الجماهير على تكاملها الذاتي وعلى التأوهات وراء حياة حسب ارادة الله، بل لكي تنهض وتسدد ضربة جديدة للملكية القيصرية ومُلكية الاقطاعيين العقارية للتين لم تكسرا في عام ١٩٠٥ الا كسراً خفيفاً ولا بد من القضاء عليهما نهائياً. ولسوف تشرح للجماهير نقد تولستوي للرأسمالية، لا لكي تقتصر الجماهير على لعن رأس المال وسلطة المال، بل لكي تتعلم الاعتماد في كل خطوة في حياتها ونضالها على المنجزات التكنيكية والاجتماعية للرأسمالية ولكي تتعلم أن تتكتل في جيش واحد لملايين المناضلين الاشتراكيين الذين سيقلبون الرأسمالية ويخلقون مجتمعاً جديداً لا بؤس فيه للشعب ولا استغلال انسان لأخيه الانسان.

«سوسيال — ديموقراط»، العدد ١٨، ١٦ (٢٩) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠

لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية الرابعة، المجلد ١٦، ص ص ٢٩٣ — ٢٩٧

تولستوي والحركة العمالية المعاصرة

ان موت تولستوي كان له رد فعل بين العمال الروس في جميع مدن روسيا الكبيرة تقريباً وأبدوا بشكل من الأشكال موقفهم تجاه الكاتب الذي وضعته مؤلفاته الفنية العظيمة في مصاف كتاب العالم العظام، وتجاه المفكر الذي طرح بقوة عجيبة، وقناعة، واخلاص عدداً من المسائل التي تمس المظاهر الأساسية للنظام السياسي والاجتماعي الراهن. وبصورة عامة يجد هذا الموقف تعبيره في البرقية التي أرسلها النواب العمال في الدوما الثالث ونشرت في الصحف (١٣).

بدأ تولستوي نشاطه الأدبي في ظل نظام القنانة، ولكن في الفترة التي كان فيها هذا النظام يعيش أيامه الأخيرة. ويعود النشاط الرئيسي لتولستوي الى حقبة التاريخ الروسي الموجودة بين نقطتي انعطاف: عام ١٨٦١ و عام ١٩٠٥. ففي خلال هذه الحقبة نفذت آثار القنانة ورواسبها المباشرة الى أعماق كل الحياة الاقتصادية (ولا سيما في الأرياف) والسياسية في البلاد. وفي الوقت نفسه اتسمت هذه الحقبة بالذات بنهوض الرأسمالية السريع من الأسفل وغرسها من الأعلى.

بماذا برزت رواسب القنانة؟ لقد برزت قبل كل شيء بأوضح ما تكون بهذا الأمر – هو أن روسيا، البلاد الزراعية بالأساس، وجدت نفسها الزراعة فيها في تلك الحقبة بأيدي فلاحين مفلسين حلت بهم نكبة الفقر، يستعملون طرائق زراعية بدائية، على حصص قديمة من الأرض الموروثة من عهد القنانة، انتزعت منها قطع في عام ١٨٦١ لصالح الملاك العقاريين. ثم ان الزراعة كانت في أيدي الاقطاعيين الذين كانوا في روسيا الوسطى يزرعون الأراضي بكدح الفلاح ومحراث الفلاح الخشبي البدائي وجواده مقابل «الأراضي المقتطعة»، وحق حصاد الاعشاب، والسقاية الخ.. لقد كان هذا في الاساس النظام القديم لاقتصاد عهد القنانة. وكان النظام السياسي في روسيا طيلة ذلك العهد مشبعاً بروح القنانة ايضاً يدل على ذلك تركيب جهاز الدولة حتى أوائل محاولات تعديله في عام ١٩٠٥، والتأثير القوي للنبلاء – ملاك الأراضي في الشؤون العامة، وحكم الموظفين المطلق الذين كانوا هم ايضاً من صفوف نبلاء – ملاك الأراضي بشكل رئيسي ولا سيما في الذروة.

ان روسيا الابوية القديمة هذه قد بدأت، بعد عام ١٨٦١، تتفسخ بسرعة تحت تأثير الرأسمالية العالمية. كان الفلاحون، بعد أن وقعوا فريسة المجاعة والموت والخراب بشكل لا مثيل له في الماضي، يفرون الى المدن تاركين أراضيهم. وكانت خطوط السكة الحديدية تمدد والمصانع والمعامل تبنى بسرعة بفضل «اليد العاملة الرخيصة» التي وجدت في الفلاحين الذين حلت

بهم نكبة الخراب. فكان رأس المال المالي الكبير والتجارة الكبيرة والصناعة الكبرى تنمو في روسيا.

ان هذا التهديم السريع، الشاق، القاطع لجميع «الأسس القديمة لروسيا القديمة هو الذي ينعكس في مؤلفات تولستوي الفنان ومفاهيم تولستوي المفكر.

كان تولستوي يعرف بشكل عجيب روسيا الريفية وحياة المالك العقاري والفلاح. وان اللوحة التي رسمها لهذه الحياة تعد من روائع الادب العالمي. وان التهديم القاطع لجميع «الأسس القديمة» في روسيا الريفية قد جعل انتباهه حاداً واهتمامه عميقاً بالأحداث التي كانت تجري فيما حوله وادى الى تحول عميق في مفهومه كله عن العالم. لقد كان تولستوي بأصله ونشأته ينتمي الى النبلاء الروس العقاريين الكبار فقطع علاقته بكل الآراء الجارية في ذلك الوسط، ووجه في آخر مؤلفاته نقداً شديداً للنظام السياسي، والديني، والاجتماعي، والاقتصادي الراهن والقائم على استعباد الجماهير وبؤسها وخراب الفلاحين والملاك الصغار بصورة عامة، وعلى العنف والنفاق اللذين يسودان الحياة المعاصرة من أعلاها الى أدناها.

ليس نقد تولستوي جديداً. فلم يقل شيئاً لم يعبر عنه الكتاب الذين وقفوا بجانب الشغيلة، قبله بزمن طويل، في الأدب الأوربي كما في الأدب الروسي. ولكن خاصة نقد تولستوي واهميته التاريخية تتقومان في كون هذا النقد يعبر بقوة لا يقدر عليها سوى الفنانين العباقرة، عن تهديم آراء أوسع الطبقات الشعبية في روسيا في الفترة المذكورة، ولا سيما روسيا الريفية، الفلاحية.

لأن نقد النظام القائم لدى تولستوى يختلف عن النقد الذي سدده لهذا النظام نفسه ممثلو الحركة العمالية المعاصرة اذ أن تولستوي كان يرى الامور بوجهة نظر الفلاح الساذج الخاضع للنظام الابوي وينقل نفسية هذا الفلاح في نقده ومذهبه. واذا كان نقد تولستوي يتميز بمثل قوة الشعور هذه وبمثل هذه العاطفة، واذا كان مقنعاً ونضيراً ومخلصاً وجريئاً في رغبته «بالغوص حتى الجذور» والعثور على السبب الحقيقي لمصائب الجماهير، فان هذا النقد يعكس بالفعل تحولاً عميقاً في آراء ملايين الفلاحين الذين تحرروا من القنانة تواً فرأوا أن هذه الحرية تحمل نوازل جديدة، الافلاس والموت جوعاً، وحياة بلا مأوى بين «الخيتروفيين» * في المدينة الخ.. لقد عبر تولستوي عن حالة فكرهم بامانة عظيمة حتى انه أدخل بنفسه في تعاليمه سذاجتهم، وصدودهم عن السياسة، وصوفيتهم، ورغبتهم في الفرار من الدنيا، و«لامقاومتهم للشر»، واللعنات العقيمة على الرأسمالية و«سلطة المال». ان احتجاج ملايين الفلاحين ويأسهم قد انصهرا في مذهب تولستوي :

ان ممثلي الحركة العمالية المعاصرة يقدرون أن لديهم مادة للاحتجاج ولكن ليس لهم اية مادة لليأس. ان اليأس

---

* الخيتروفيون – من كلمتي «خيتروف رينوك» اي سوق خيتروف. وكانت هذه السوق تتميز بتركز حثالة المجتمع فيها وحولها. ولهذا اسميت العناصر المتفسخة، المنحطة، التي فقدت كل ارتباط طبقي، بالخيتروفيين. المعرب.

شيء خاص بالطبقات المحتضرة بينما طبقة العمال تتعاظم تعاظماً محتماً، وتنمو، وتقوى في كل مجتمع رأسمالي سواء في روسيا أو البلدان الأخرى. ان اليأس شيء خاص بمن لا يفهمون أسباب الشر، لا يجدون مخرجاً، وهم عاجزون عن النضال. وان البروليتاريا الصناعية في أيامنا لا تنتمي الى هذه الطبقات.

«ناش بوت»،
العدد ٧، ٢٨ تشرين الثاني
(نوفمبر) ١٩١٠
التوقيع: ف. إ – ن

لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية
الرابعة، المجلد ١٦،
ص ص ٣٠٠ – ٣٠٢

تولستوي والنضال البروليتاري

لقد فضح تولستوي الطبقات المسيطرة بشدة واخلاص، فقد فضح بوضوح بالغ الأكذوبة الداخلية لجميع المؤسسات التي يقوم بفضلها مجتمع اليوم: الكنيسة، والعدالة، والروح العسكرية، والزواج «الشرعي»، والعلم البرجوازي. الا ان مذهبه قد كان مع ذلك متناقضاً تناقضاً سافراً مع حياة وعمل ونضال البروليتاريا التي هي قبّار النظام القائم. فما هي اذن وجهة النظر التي يعكسها وعظ تولستوي؟ كانت الجماهير الغفيرة من الشعب الروسي تتكلم بفمه، هذه الجماهير التي صارت تمقت سادة الحياة الراهنة، ولكنها لم تتوصل بعد الى نضال حاسم لا هوادة فيه ضد هؤلاء السادة، نضال واع، دائب، سائر الى النهاية.

ان تاريخ الثورة الروسية ونتيجتها قد بينا أنْ تلك بالضبط كانت الجماهير التي اصبحت بين البروليتاريا الاشتراكية الواعية والمدافعين الأشداء عن النظام القديم. وان هذه الجماهير — لا سيما الفلاحين — قد أبدت خلال الثورة مبلغ كرهها للحالة القديمة، ومبلغ شعورها بوطأة النظام القائم، ومدى اتساع رغبتها العفوية بالتخلص منها والبحث عن حياة أفضل.

وفي الوقت ذاته قد أبدت هذه الجماهير خلال الثورة أنها

كانت واعية وعياً غير كاف في حقدها، وغير دائبة في نضالها، ومحدودة كثيراً في بحثها عن حياة أفضل.

ان خضم الشعب المتحرك حتى أعماقه ينعكس في مذهب تولستوي بجميع مناحيه الضعيفة والقوية.

ان الطبقة العاملة الروسية ستستقي من دراستها مؤلفات ليون تولستوي الفنية كيف تعرف أعداءها معرفة أفضل، وان الشعب الروسي كله، في تبحره بمذهب تولستوي، لا بد له من أن يفهم مم يتألف ضعفه الذي عاقه عن أن يتم عمل تحريره حتى نهايته. هذا ينبغي أن يفهمه ليسير الى الأمام.

ان هذا السير الى الأمام انما يعوقه جميع الذين ينعتون تولستوي بانه «الضمير العام» و «معلم الحياة». وانه لأكذوبة ينشرها بوعي الليبيراليون الراغبون في استعمال الناحية المجافية للثورة في مذهب تولستوي. ان هذه الأكذوبة التي تعلن تولستوي «معلم الحياة» يرددها بعد الليبيراليين بعض الاشتراكيين الديموقراطيين السابقين.

ان الشعب الروسي لن يظفر بتحرره الا عندما يفهم أنه ينبغي له أن يتعلم كيف يناضل في سبيل حياة أفضل لا كما يرى تولستوي، بل كما ترى الطبقة التي لم يفهم تولستوي دورها والتي هي وحدها القادرة على ذلك العالم القديم الذي كان يكرهه تولستوي — انها البروليتاريا.

«رابوتشايا غازيتا»، العدد ٢، ١٨ (٣١) كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٠

لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية الرابعة، المجلد ١٦، ص ص ٣٢٣ – ٣٢٤

تولستوي وعصره

ان الحقبة التي ينتمي اليها تولستوي والتي تنعكس بارزة بروزاً عظيماً في مؤلفاته الفنية العبقرية كما في مذهبه، تمتد من ١٨٦١ حتى ١٩٠٥. صحيح أن النشاط الأدبي لتولستوي قد ابتدأ قبل هذه البداية وانتهى بعد نهاية هذه الحقبة، ومع ذلك فان تولستوي قد تكوّن نهائياً كفنان ومفكر خلال هذه الحقبة التي تولدت من طابعها العابر جميع الملامح المميزة سواء لمؤلفات تولستوي ام «للنزعة التولستوية».

لقد عبر تولستوي على لسان ليفين في رواية «أنا كارييننا»، بوضوح بالغ عما تتألف منه نقطة الانعطاف في التاريخ الروسي خلال نصف القرن هذا:

«...ان الأحاديث حول المحصول وتشغيل العمال الخ.، التي كانت تعتبر شيئاً سافلاً جداً، كما كان ليفين يعرف ذلك،.. غدت تبدو له الآن هي الوحيدة الهامة. «ربما لم يكن هذا ذا أهمية في ظل القنانة أو في انكلترا، وان الشروط في الحالتين محددة، ثابتة، الا ان هذا كله الآن عندنا قد تزعزع وما زال يتنسق، ان مسألة معرفة كيف ستتكون هذه الشروط، هي الوحيدة الهامة في روسيا» — هكذا كان يفكر ليفين» (المؤلفات، المجلد ١٠، ص ١٣٧).

«هذا كله الآن عندنا قد تزعزع وما زال يتنسق» — يصعب على المرء أن يتخيل وصفاً أكثر صحة لفترة ١٨٦١ حتى ١٩٠٥.

ان الذي «تزعزع» يعرفه الجميع جيداً في روسيا أو على الأقل مفهوم لديهم تماماً. انه القنانة وكل «النظام القديم» الذي كان يطابقها. والذي «ما زال يتنسق» تجهله تماماً جماهير الشعب، وهو غريب عليها وغير مفهوم، ان هذا النظام البرجوازي «الذي ما زال يتنسق» يبدو لعيني تولستوي غامضاً، بمظهر مجدار: وهو انكلترا. أجل، انه مجدار لأنه يرفض مبدئياً، ان صح التعبير، كل محاولة لادراك الخطوط الأساسية للنظام الاجتماعي في «إنكلترا» هذه وعلاقة هذا النظام بسيطرة رأس المال، ودور المال، وظهور التبادلات وتطورها. لقد رفض ان يرى، شأنه في ذلك شأن الشعبيين (١٤)، فأغمض عينيه، وصدف عن الفكرة بأن الذي «يتنسق» في روسيا ليس سوى النظام البرجوازي.

صحيح أنه من ناحية المهام المباشرة لكل النشاط السياسي والاجتماعي في روسيا للحقبة الواقعة بين ١٨٦١ — ١٩٠٥ (كما بالنسبة للأوقات الراهنة) ان المسألة الهامة جداً، ان لم تكن «الوحيدة الهامة»، كانت مسألة المعرفة «كيف يتنسق» هذا النظام، النظام البرجوازي، الذي يتخذ أشكالاً متنوعة جداً في «انكلترا»، وألمانيا، وأمريكا، وفرنسا، الخ.. ولكن هذه الطريقة الدقيقة ذات الطابع التاريخي الملموس لطرح السؤال ان هي بالنسبة لتولستوي، الا شيء غريب جد الغرابة. انه يحاكم في المجردات، ولا يقبل سوى وجهة نظر المبادئ «الخالدة» للأخلاق والحقائق الخالدة للدين دون أن يدرك أن وجهة النظر هذه ليست سوى الانعكاس الايديولوجي للنظام القديم («المتزعزع»)، نظام القنانة، نظام حياة الشعوب في الشرق.

لقد صرح تولستوي في قصة «لوتسرن» (المكتوبة عام ١٨٥٧) أن الاعتراف «بالحضارة» بأنها خير ان هو الا «معرفة خيالية»، «تهدم الحاجات البدائية، الغريزية، السعيدة للخير في الطبيعة الانسانية». ويصيح تولستوي: «لدينا قائد وحيد، معصوم، انه الروح الشامل، الذي يتغلغل فينا» (المؤلفات، المجلد ٢، ص ١٢٥).

وفي «استعباد عصرنا» (المكتوب عام ١٩٠٠) كرر تولستوي باصرار هذه النداءات للروح الشامل، وأعلن أن الاقتصاد السياسي هو «علم زائف»، لأنه يتخذ «نموذجاً» له «انكلترا الصغيرة، التي هي في وضع استثنائي تماماً»، بدلاً من أن يتخذ له نموذجاً «وضع البشر في الكون أجمع طيلة حقبة التاريخ». وما هو هذا «الكون أجمع»، هو ما ترينا اياه المقالة: «التقدم وتعريف الثقافة» (عام ١٨٦٢). ان تولستوي يدحض رأي «المؤرخين» الذين يرون أن التقدم «قانون عام للبشرية جمعاء» بالاستناد الى «كل ما اصطلح على تسميته بالشرق». (المجلد ٤، ص ١٦٢). يقول تولستوي: «لا يوجد قانون عام لحركة البشرية الى الأمام كما تبرهن على ذلك الشعوب الجامدة التي لا تحير حراكاً في الشرق».

هذه هي ايديولوجية النظام الشرقي، الآسيوي الذي تمثله النزعة التولستوية في مضمونها التاريخي الواقعي. و من هنا نجم عنده التنسك، ولامقاومة الشر بالعنف، وبوادر التشاؤم العميق، والاعتقاد بأن «كل شيء — عدم، كل شيء — عدم مادي» («حول معنى الحياة»، ص ٥٢)، والايمان «لروح»، و«مبدأ الكل» الذي ليس الانسان بالنسبة له سوى «عامل» «مكلف

بقضية سلامة روحه» الخ.. لقد ظل تولستوي أميناً، وفياً، لهذه الايديولوجية في «سونا ت كروتزر» أيضاً حينما يقول: «ان تحرير المرأة لا يجري في الجامعات ولا في البرلمانات، بل في غرفة النوم»؛ ويقول في مقالة كتبها عام ١٨٦٢ ان الجامعات لا تقوم باعداد غير «الليبيراليين النزقين المرضى» «لا شأن للشعب بهم»، و«قد انتزعوا بدون جدوى من وسطهم القديم» و«لا يجدون مكانهم في الحياة» الخ. (المجلد ٤، ص ١٣٦ — ١٣٧).

ان التشاؤم، واللامقاومة، واستحضار «الروح» هي ايديولوجية تظهر لا محالة في حقبة «تزعزع» فيها النظام القديم بأسره، ولم تر فيه الجماهير التي نشأت في ظل ذلك النظام القديم الذي رضعته مع حليب أمهاتها مبادئه، وعاداته، وتقاليده، ومعتقداته، ولا تستطيع تلك الجماهير ان ترى ما هو النظام الجديد الذي «يتنسق»، وأي قوى اجتماعية «تنسقه» وكيف، وأي قوى اجتماعية قادرة على تخليصه من الآلام الكثيرة والحادة بالخاصة بفترات «التهديمات».

ان الحقبة الممتدة بين ١٨٦٢ و١٩٠٤ كانت حقبة التهديم بمعنى الكلمة في روسيا اذ كانت الحالة القديمة للاشياء تنهار الى غير رجعة أمام أعين الجميع، والجديد ما يزال يتنسق مع العلم ان القوى الاجتماعية العاملة في هذا التنسيق تظهر لأول مرة في عام ١٩٠٥ فقط على نطاق البلاد كلها وبعمل جماهيري سافر في مختلف الميادين. وقد أعقبت أحداث عام ١٩٠٥ في روسيا، أحداث مماثلة في سلسلة من دول نفس هذا «الشرق» الذي يستشهد تولستوي «بجموده» في عام

١٨٦٢. ان عام ١٩٠٥ يعين ابتداء نهاية الجمود «الشرقي» ولهذا السبب بالضبط كانت هذه السنة تضع حداً تاريخياً للتولستوية، لتلك الحقبة كلها التي كان في استطاعتها وكان لا بدّ لها ان تولد مذهب تولستوي لا كشيئ فردي، ولا كشيئ أهوج أو رغبة اصالة بل كايديولوجية شروط حياة وجدت فيها ملايين الناس نفسها في الواقع خلال فترة معينة من الزمن.

ان مذهب تولستوي طوباوي لا جدال في ذلك، وهو بمحتواه رجعي بأدق ما في هذه الكلمة من معنى وأعمقه. الا أنه لا يستنتج من ذلك اطلاقاً أن هذا المذهب ليس اشتراكياً أو انه لا يحتوي على عناصر نقدية تقدم مواد ثمينة لتثقيف الطبقات المتقدمة.

توجد اشتراكية واشتراكية. ففي جميع البلدان التي يكون فيها شكل الانتاج رأسمالياً توجد اشتراكية تعبر عن ايديولوجية الطبقة المدعوة الى الحلول محل البرجوازية، ثم اشتراكية تطابق ايديولوجية الطبقات التي ستحل البرجوازية محلها. فالاشتراكية الاقطاعية ــ مثلاً ــ تأخذ مكانها في هذا الصنف، وان طابع مثل هذه الاشتراكية قد حدده ماركس منذ أمد طويل، منذ اكثر من ستين سنة كسائر ضروب الاشتراكية (١٥) في الوقت ذاته.

ثمة شيء آخر. فالعناصر النقدية هي خاصة بالمذهب الطوباوي لتولستوي شأنه في ذلك شأن الأنظمة الطوباوية الكثيرة الأخرى. وعلينا ألا ننسى مع ذلك ملاحظة ماركس العميقة التي جاء فيها ان أهمية العناصر النقدية الموجودة في الاشتراكية الطوباوية «متناسبة عكساً مع التطور التاريخي». وبقدر ما يزداد نشاط القوى

الاجتماعية التي «تنسق» روسيا الجديدة وتحمل الخلاص من الشرور الاجتماعية الراهنة، وبقدر ما يزداد هذا النشاط اكتساباً لطابع محدد، بقدر ما تسرع الاشتراكية الطوباوية النقدية و«تفقد كل معنى عملي وكل تبرير نظري».

منذ ربع قرن كان في وسع العناصر النقدية في مذهب تولستوي أن تكون مفيدة في بعض الأحيان في النشاط العملي لبعض فئات الشعب على الرغم من السمات الرجعية الطوباوية للتولستوية. وفي السنوات العشر الأخيرة، مثلاً، لم يستطع ذلك أن يكون هكذا لأن التطور التاريخي قد قام بخطوة كبيرة الى الأمام منذ عام ١٨٨٠ حتى نهاية القرن الماضي. وفي أيامنا هذه، بعد ما وضعت الأحداث المشار اليها آنفاً حداً للجمود «الشرقي»، في أيامنا هذه التي انتشرت فيها الأفكار الرجعية بشكل واع لجماعة الفيخيين ــ رجعية بالمعنى الضيق للطبقة والمصالح الأنانية الطبقية ــ انتشاراً واسعاً بين البرجوازية الليبيرالية، وأصابت بالعدوى حتى قسم من أنصاف الماركسيين وولدت تيار «التصفية» (١٦)، ــ في أيامنا هذه قامت كل محاولة لتمجيد مذهب تولستوي و تبرير أو تخفيف «لا مقاومته» و استحضاره «للروح» ودعواته «للتكامل الذاتي الأخلاقي» ومذهبه «بالضمير» و«الحب» الشامل ومواعظه بالتنسك والتجرد الخ. تحمل أعمق ضرر وأقربه.

«زفيزدا» العدد ٦، ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩١١.
التوقيع: ف. إيليين

لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية الرابعة، المجلد ١٧، ص ص ٢٩ ــ ٣٣

ملاحظات

١ – بالالايكين – بطل كتاب للكاتب الهجائي الروسي المعروف سالتيكوف – شيدرين «غرام حديث»، لتات ليبيرالي ومغامر وكذاب.

«ريتش» – صحيفة يومية، لسان حال حزب الكاديت. صدرت في بطرسبورغ ابتداء من شهر شباط – فبراير – سنة ١٩٠٦. وقد منعتها اللجنة العسكرية الثورية لدى سوفييت بتروغراد في ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) (٨تشرين الثاني–نوفمبر) ١٩١٧. – ص ٤.

٢ – أبيات مقتبسة من قصيدة لنيكراسوف عنوانها: «أولئك الذين تطيب لهم الحياة في روسيا». –ص ٥.

٣ – يعني بعد الغاء نظام القنانة في روسيا عام ١٨٦١. – ص ٦.

٤ – الكاديت – اسم مختصر للحزب الدستوري الديموقراطي، حزب البرجوازية الليبيرالية في روسيا، الذي تأسس عام ١٩٠٥. كان من أنصار الملكية الدستورية. كان أعضاء الكاديت تحت قناع «الديموقراطية» وباسم حزب «حرية الشعب» يحاولون أن يجتذبوا الفلاحين الى جانبهم. وقد كان أعضاء الكاديت يؤيدون القيصرية في القضايا الأساسية للسياسة الداخلية والخارجية. – ص ٨.

٥ – الترودوفيكيون أو «عصبة العمل» – فئة من الديموقراطيين البرجوازيين الصغار، تألفت في نيسان (ابريل) عام ١٩٠٦ من نواب الفلاحين للدوما الأول. كان الترودوفيكيون يطالبون بالغاء جميع القيود الطبقية والقومية وبجعل الادارة الذاتية للزيمستفوفات والمدن ديموقراطية، وبتطبيق التصويت العام في انتخابات الدوما، وبحل المسألة الزراعية قبل كل شيء. – ص ٨.

٦ – ستوليبين بيتر أركادييفيتش (١٨٦٢ – ١٩١١) — رئيس مجلس

الوزراء في الفترة ١٩٠٦ – ١٩١١، رجعي متطرف، وقد ظل اسمه مقروناً بقمع الثورة الروسية الأولى (١٩٠٥–١٩٠٧) وبالفترة التالية لأسوأ رجعية سياسية. –ص ٨.

٧ – «نارودنايا فوليا» – جمعية سرية للمثقفين الثوريين الروس، تأسست عام ١٨٧٩. كان أعضاء هذه الجمعية يستعملون في كفاحهم ضد القيصرية الارهاب الفردي وينظمون اغتيالات لرجالات القيصرية. وفي أول آذار– مارس – ١٨٨١ اغتالوا القيصر الكسندر الثاني. كان أعضاء هذه الجمعية يعتقدون – وهم على خطأ في اعتقادهم – أن فئة ثورية صغيرة تستطيع بدون الاعتماد على الحركة الثورية الجماهيرية أن تأخذ بمقاليد السلطة، وتطيح بالأوتوقراطية. وقد زالت جمعية «نارودنايا فوليا» في النصف الثاني للعقد التاسع. – ص ٨.

٨ – «السيد كوبون» – اسم متخيل للرأسمالية وللرأسماليين في المنشورات العائدة الى العقدين التاسع والعاشر من القرن الماضي. كان غليب أوسبينسكي اول من استعمل هذه العبارة في قصة «الخطايا الكبيرة». – ص ١٤.

٩ – «المئة السود» – هكذا كانت تدعى العصابات الملكية التي كانت تنظمها الشرطة القيصرية للنضال ضد الحركة الثورية وكانت هذه العصابات تنظم اغتيال الثوريين، ومهاجمة المثقفين التقدميين، وتدبير مذابح اليهود. – ص ١٥.

١٠ – «الفيخيون» – هم المشتركون في مجموعة «فيخي» الكاديت، وقد صدرت بموسكو في ربيع عام ١٩٠٩ بمقالات لبرديايف، وبولغاكوف، وستروفه، وغيرشنزون، وغيرهم من ممثلي البرجوازية الليبيرالية المعادية للثورة. كان الفيخيون يحاولون أن يشنعوا في مقالاتهم عن المثقفين الروس بالتقاليد الديموقراطية الثورية لخيرة ممثلي الشعب الروسي، وقد كانوا يشوهون وجه الحركة الثورية لعام ١٩٠٥، ويشكرون الحكومة القيصرية على انقاذها البرجوازية من «السعار الشعبي» «بالحراب والسجون». وكانت المجموعة تدعو المثقفين للعمل في خدمة الأوتوقراطية وكان لينين يوحد برنامج الفيخيين في الفلسفة والصحافة وبرنامج جريدة «موسكوفسكيه فيدوموستي» التابعة للمئة السود ويسمي المجموعة «موسوعة الجحود الليبيرالي» و«موجة سابغة من المياه القذرة الرجعية المنسكبة على الديموقراطية». – ص ١٦.

١١ – أنطونيوس فوليينسكي – مطران، رجعي متطرف. – ص ١٦.

١٢ – «نوفويه فريميا» («الأزمنة الحديثة») – صحيفة يومية كانت تصدر في بطرسبورغ منذ عام ١٨٦٨ حتى تشرين الاول (أكتوبر) ١٩١٧. كانت في البدء ليبيرالية معتدلة ثم أصبحت، ابتداء من عام ١٨٧٦، لسان حال الأوساط

الرجعية لطبقة النبلاء والموظفين البيروقراطيين. كانت الصحيفة لا تقاوم الحركة الثورية فحسب بل الحركة الليبيرالية – البرجوازية أيضا؛ وأصبحت ابتدأ من عام ١٩٠٥ من ألسنة حال «المئة السود». كان لينين ينعتها بأنها نموذج الصحف المأجورة. – ص ١٦.

١٣ – يقصد هنا البرقية التي أرسلها النواب الاشتراكيون الديموقراطيون في الدوما الثالث الى نشيرتكوف، أقرب صديق ومريد لتولستوي، الى بلدة أستابوفو: «ان الكتلة الاشتراكية الديموقراطية في الدوما تعبر عن مشاعر بروليتاريا روسيا وبروليتاريا العالم كلها وتعرب عن ألمها العميق لموت الفنان العبقري، المناضل العنيد الذي لا يقهر، ضد الكنيسة الرسمية، وعدو العسف والاستعباد والذي رفع صوته مدوياً ضد عقوبة الاعدام، وصديق المضطهدين». – ص ١٨.

١٤ – الشعبية – تيار سياسي ظهر في روسيا في فترة ١٨٦٠ – ١٨٨٠. كان الشعبيون ديموقراطيين برجوازيين صغار، يحاولون الاطاحة بالأوتوقراطية ونقل الأرض من الملاك العقاريين الى الفلاحين. ومع ذلك كانوا ينكرون التطور المطابق لقوانين العلاقات الرأسمالية والبروليتاريا في روسيا، وكانوا بالتالي يعتبرون الفلاحين القوة الثورية الرئيسية ويرون في المشاعة الريفية جنين الاشتراكية. ولهذا السبب كان الشعبيون يذهبون الى الأرياف («الى الشعب») محاولين اثارة الفلاحين للنضال ضد الأوتوقراطية. كانت أفكار الشعبيين وخطتهم ذات طابع طوباوي لأنها ما كانت تستند الى التطور الموضوعي للمجتمع. – ص ٢٦.

١٥ – هنا وفيما بعد يقصد لينين «البيان الشيوعي» الذي ألفه ماركس وانجلس، ويستشهد به. – ص ٢٩.

١٦ – «التصفية» – تيار كان يسود بين المنشفيك (الجناح الانتهازي للاشتراكية – الديموقراطية الروسية) في فترة الرجعية بعد انكسار ثورة ١٩٠٥–١٩٠٧. كان ممثلو هذا التيار يطالبون بأن يصفى الحزب الثوري للبروليتاريا غير الشرعي وأن يحل محله الحزب الانتهازي الشرعي في ظروف النظام القيصري. – ص ٣٠.

محتويات

الى القراء

ان دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب، وشكل عرضه، وطباعته، واعربتم لها عن رغباتكم.

العنوان: زوبوفسكي بولفار، ٢١
موسكو، الاتحاد السوفييتي

В. И. ЛЕНИН

СТАТЬИ О ТОЛСТОМ